

شرق أوسط جديد

ترتسم في أفق الشرق الأوسط ملامح خريطة جديدة للتوازنات الإقليمية واستطراداً عالمية. ومن الواضح ان الصراع في سوريا وعليها كان شرارة لهذه المتغيرات التي أسست لمشهد مختلف عما كان عليه قبل بدء الأزمة بل كل الخريطة التي نشأت بعد انتهاء الحرب الباردة.

أولاً: ينحو السعي لعقد مؤتمر لحل الأزمة السورية في جنيف - ٢ ليعلن فشل الهجوم الذي تعرضت لها سوريا لتغيير النظام واستبداله بنظام موال للغرب والدول العربية التي تدور في فلك الغرب. ويزداد فشل هؤلاء مع احتساب الحجم الهائل من القدرات والإمكانات التي وظفت لإحداث انقلاب في موقع سوريا ومكانتها الإقليمية.

ثانياً: احدث الاتفاق النووي بين ايران ومجموعة الخمسة زائد واحد، أي بين الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن زائد ألمانيا في ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣ والذي انتهى الى الاعتراف بحق ايران بتخصيب نووي حتى خمسة في المئة وتقديمها ضمانات كاملة بعدم تحويل برنامجها النووي الى مشروع عسكري لانتاج قنبلة نووية، أحدث هذا الاتفاق انفراجاً كبيراً جداً في المنطقة ولا سيما بين ايران والولايات المتحدة الأميركية. وهذا الاتفاق سيكون له تأثير حاسم في الكثير من الملفات الإقليمية وأهمها الاعتراف بالدور الإقليمي الوزن لإيران خارج حسابات الضغط العسكري من جانب الغرب وخارج التهويل الاسرائيلي. ولعل انزعاج اسرائيل وبعض الأطراف الإقليمية من تصاعد الدور الإيراني هو انعكاس لنجاح ايران في فرض نفسها قوة اقليمية كبيرة رغم كل محاولات منعها من ذلك.

ثالثاً: لقد تمكنت روسيا انطلاقاً من موقفها من الأزمة السورية الى فرض نفسها من جديد القوة العالمية الموازية لنفوذ القوة الأكبر أي الولايات المتحدة الأميركية. ولقد كان الموقف

الروسي بقيادة فلاديمير بوتين بارعاً في قراءة موازين القوى والاستعداد حتى للدخول في حرب نووية من أجل عدم فقدان سوريا كقاعدة نفوذ أخيرة له في الشرق الأوسط ومياه المتوسط. وقد كان له ما أراد.

وإذا كان المثلث السوري - الإيراني - الروسي قد تعرض لضربات وطعون كثيرة خلال السنوات الثلاث الماضية في معرض ما سمي بـ "الربيع العربي"، غير أن العبرة كانت في النتائج التي خرج بها وهي الحفاظ على التوازن في المنطقة وعدم تحويلها إلى منطقة نفوذ خالصة للغرب والقوى التي تدور في فلكه وفي ذلك حمى هذا المثلث التنوع الاتني والديني والمذهبي والسياسي في المنطقة.

وكإحدى نتائج هذه المتغيرات يمكن القول أن تركيا بمشروع حزب العدالة والتنمية الهيمنة على المنطقة ومحاولة التفرد في قيادتها قد واجهت هزيمة حاسمة سواء تجاه محور الممانعة والمقاومة أو تجاه المحور الآخر وخصوصاً في مصر ومع السعودية ودول الخليج بحيث خرجت تركيا بلداً معزولاً وعاجزاً والأكثر خسارة من مرحلة الاضطراب الإقليمي في السنوات الثلاث الأخيرة.

وأظهرت المتغيرات أيضاً عدم قدرة حلفاء الولايات المتحدة من إسرائيل وبعض الدول الأخرى على التحرك والتفريد خارج السرب الأميركي وهو ما سيضعف قدرتها على الحركة الجانبية إلا في الحدود التي يسمح بها الرعاة الأميركيون.

وإذا كانت المفاجأة بخروج اللاعب التركي من المعادلة مكسوراً فإن اللاعب العربي ممثلاً بجامعة الدول العربية، كان الأكثر عجزاً عن أن يجترح صيغة تضمن له مكاناً تحت الشمس في المعادلات الإقليمية الجديدة. وهو ما يفترض أن يكون لذلك ارتدادات داخلية في المنطقة العربية ولو بعد حين كردة فعل على تهमيش الانسان العربي من أن تكون له حيثية تحقق له استقلالاً حقيقياً وكرامة مفقودة. وأثبتت تطورات الربيع العربي أن مستقبل الانسان العربي قد تم اغتياله مرة جديدة عندما توجهت بوصلة قياداته إلى اعتماد نزعات عنصرية وتكفيرية وتمييزية وتابعة للخارج ومتواطئة مع العدو الإسرائيلي. ورغم كل هذا اليأس والتشاؤم لا بد من البحث من جديد وبعمق في أسباب الفشل وإعادة صياغة العقل العربي ليكون على مستوى التحديات والتطلعات.

رئيس التحرير